

الدليل الثاني - الملحق 1

الملحق 1

طبيعة الله وابن الله

يهدف هذا الدرس إلى مساعدة الناس على فهم المزيد عن طبيعة الله.

1- الله بطبيعته لا يُستقصى.

اقرأ أيوب 11: 7-8؛ 1 تيموثاوس 6: 15-16؛ يوحنا 1: 18؛ عبرانيين 1: 3-1.
اكتشف وناقش: كيف يمكن للناس أن يصفوا طبيعة الله بطريقة ملائمة وصحيحة؟
ملاحظات: الله بطبيعته لا يُستقصى! فلولا أن الله أعلن عن نفسه، لما أمكننا نحن البشر أن نعرف أنه موجود، ولما أمكننا أن نفهم أي شيء عن طبيعته. كذلك، فإن قدرتنا على فهم الطبيعة الإلهية تنحصر فقط في المقدار الذي أعلنه الله لنا عن طبيعته. فالطبيعة الإلهية تبقى غامضة بالنسبة للإنسان خارج إطار إعلان الله عن ذاته. وهكذا، لا يمكننا أن نعرف عن الله إلا بالقدر الذي يسمح به هو، ولا يمكننا أن نقول عن الله إلا ما قاله هو عن نفسه.

2- الله أعلن عن نفسه لكي يعرفه البشر.

اقرأ المقاطع الكتابية المشار إليها داخل الأقواس أدناه.
اكتشف وناقش: كيف أعلن الله الذي لا يُستقصى عن نفسه للناس لكي يعرفوه؟
ملاحظات: يؤمن المسيحيون بالله واحدٍ أعلن عن نفسه للبشر. فالله لم يبق بعيداً عن خليقته، أو عن شعبه، أو عن ما يحدث لشعبه. بل إنه أعلن عن نفسه في خليقته وفي التاريخ البشري!

(أ) الخليقة

الله أعلن لنا عن وجوده وعن قدرته المطلقة وتنظيمه الفائق من خلال خليقته. فالخليقة تكشف لنا عن قدرة الله، وبهائه، وتنظيمه (المزمور 19: 1-7؛ رومية 1: 19-20).

(ب) قلب الإنسان

الله أعلن أنه إله يكره الخطيئة ويحب الحق عن طريق كتابة بعض شرائعه الأخلاقية على قلوب الناس، وعن طريق إعطائهم ضميراً يبرئهم أو يُدينهم. فقلب الإنسان يكشف حقيقة وجود معايير أخلاقية لدى الله (رومية 2: 14-15؛ إشعياء 5: 20).

(ج) الأعمال والكلمات

الله أعلن عن نفسه عن طريق أعماله (إشعياء 43: 13) وعن طريق كلامه (متى 4: 4) من خلال خليقته ومن خلال التاريخ البشري. ونحن نعلم أن أفعال الله وكلماته مُدَوَّنة في أسفار الكتاب المقدس. فالكتاب المقدس يُعلن أفكار الله، وخطته، وكلماته، وأفعاله. في الأزمنة الماضية كَلَّمَ الله آباءنا الأوائل بلسان الأنبياء الذين نقلوا إلينا إعلانات الله بطرق عديدة ومتنوعة. أمّا في هذا الزمن الأخير، فقد كَلَّمنا بابنه يسوع المسيح الذي هو صورة جوهر الله (عبرانيين 1: 3-1).

الدليل الثاني - الملحق 1

(د) الله معنا.

الله أعلن عن نفسه عن طريق تجسده في هيئة إنسان. فقد أخذ الله طبيعةً بشريةً - دون أن يتخلى عن طبيعته الإلهية - وجاء إلى هذه الأرض، ومشى بين خليقته، ودخل التاريخ البشري (يوحنا 1: 1، 14، 18؛ كولوسي 1: 15، 19؛ 2: 9). لهذا فقد قال الرب يسوع: "الَّذِي رَأَى رَأَى الْآبَ" (يوحنا 14: 9). فقد أعلن لنا الرب يسوع المسيح عن كيان الله، وشخصه، وطبيعته.

يقول البعض إنه لا يمكن أن يكون الله قد أخذ هيئةً بشريةً. لكنَّ العهد القديم يقول "وَهُنَاكَ تَجَلَّى لَهُ [لموسى] مَلَاكُ الرَّبِّ بِلَهَيْبِ نَارٍ وَسَطَ عَلْيَقَةٍ ... وَعِنْدَمَا رَأَى الرَّبُّ أَنَّ مُوسَى قَدْ دَنَا لَيْسَنُطْعَ الْأَمْرَ، نَادَاهُ مِنْ وَسَطِ الْعُلْيَقَةِ قَائِلًا: مُوسَى!" (خروج 3: 2-4). وهكذا، إن كان الله قادراً على التجلّي أو التواجد في عليقة مُشتعلة، فمن المؤكد أنه قادر على التواجد في جسد بشري طاهر!

(هـ) روح الله فينا.

الله يُعلن عن نفسه لنا عن طريق سُكناه في أجساد المؤمنين (1 كورنثوس 6: 19-20) وفي الكنيسة المسيحية (أفسس 2: 22)، وفي خليقته، وفي التاريخ البشري. فالروح القدس يُعلن حضور الله القوي في حياة شعبه، ويُعلن قدرة الله على تغيير شعبه.

3- الله أعلن عن نفسه لنا في يسوع المسيح، ابن الله.

يجب أن لا نُسيء فهم عبارة "ابن الله" الواردة في الكتاب المقدس. فالكتاب المقدس يتحدث عن ثلاثة أنواع من الأبناء:

(أ) الابن الطبيعي (الجسدي).

كلمة "ابن" في اللغات الأصلية للكتاب المقدس تحمل معنىً جسدياً. تُشير كلمة "ابن" إلى الابن الطبيعي أو الجسدي. فعلى سبيل المثال نقرأ في (إنجيل يوحنا 3: 6): "قَالَ مَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ هُوَ جَسَدٌ". وهذا يعني أنَّ الابن الجسدي يُولد من أب وأم جسديين. يسوع كان شخصاً مادياً وُلد من العذراء مريم. لكنه يختلف عن سائر البشر في أنه كان بلا خطيئة (عبرانيين 4: 15)! كما أنه يختلف عن سائر البشر في أنه ليس له أب أرضي. لهذا، عندما تُرد عبارة "ابن الله" بالإشارة إلى يسوع المسيح، فإنها لا تُشير مُطلقاً إلى البُنوة الجسدية لأنَّ الله ليس له جسد، ولأنه لا يرتبط بالناس بعلاقات جسدية. فالطبيعة الجسدية ليسوع المسيح ترجع إلى حقيقة أنَّ الله نفسه أخذ جسماً بشرياً - دون أن يتخلى عن طبيعته الإلهية - وأصبح "الله معنا". وقد فعل الله ذلك لكي يكشف لنا عن شخصه، ولكي يكشف عن خطة الخلاص التي وضعها للبشر، ولكي يُخلص الناس! لهذا فإنَّ يسوع المسيح لم يمُت إلا في طبيعته البشرية. وهكذا، فقد كُفّر عن خطايا شعبه. كما أنَّ يسوع المسيح لم يَمُت من الموت إلا في طبيعته البشرية؛ وبالتالي فقد ضَمِنَ لشعبه الحصول على الحياة الجديدة على الأرض، والحصول على أجساد القيامة بعد الموت.

(ب) الابن الرمزي.

كلمة "ابن" في اللغات الأصلية للكتاب المقدس تحمل معنىً رمزياً/مجازياً أيضاً.

الدليل الثاني - الملحق 1

عندما تُرد كلمة "ابن" مع شيء ما بصيغة المضاف والمضاف إليه فإنها تشير إلى أن شخصاً ما يشارك في هذا الشيء، أو أنه يستحق هذا الشيء، أو أنه يرتبط بهذا الشيء ارتباطاً وثيقاً. فمثلاً، عبارة "أبناء النور" (لوقا 16: 8) تشير إلى الأشخاص الذين يرتبطون ارتباطاً وثيقاً بالنور الحقيقي (يسوع المسيح)، وإلى أنهم يشتركون في "نوره"؛ أي في صفاته البشرية الرفيعة مثل حكمته، وقداسته، وبرّه، ومحبته، وغيرها من الصفات.

إنّ عبارة "ذراع الله" وعبارة "أذن الله" (إشعيا 59: 1-2) لم تُستخدم هنا بمعناها الحرفي، بل بمعناها الرمزيّ أو المجازي. فهي لا تشير إلى أنّ الله ذراعين وأذنين مثلنا نحن البشر، بل تعني أنّ الله قادر على سماع صلوات المؤمنين وتخليصهم. كما أنّ عبارة "عيني الرب" (2 أخبار 16: 9) لا تعني أنّ الله عينين مثلنا نحن البشر، بل تعني أنّ الله يرى كل شخص وكل شيء بصفته الروح السرمدية.

وعلى نحوٍ مشابه، فإنّ عبارة "ابن الله" لا تشير إلى أنّ الله ابن بشري بالمعنى الحرفي للكلمة، بل تعني أنّ الله قادر على الإعلان عن نفسه في الطبيعة البشرية، وأنه قام بالفعل بالإعلان عن نفسه في الطبيعة البشرية ليسوع المسيح. فيسوع المسيح يرتبط بعلاقة وطيدة وفريدة مع الله الأب، ويشارك الله في صفات الطبيعة الإلهية الفريدة. لهذا فإنّ الكتاب المقدس لا يتحدث مطلقاً عن الله ويسوع بصفتهما إلهان مُفصلان، بل بصفتهما إلهاً واحداً أعلن عن نفسه بأنه إله السموات وبأنه "الله معنا" على الأرض.

ج) الابن الروحيّ.

1- كلمة "ابن" في اللغات الأصلية للكتاب المقدس تحمل معنىً روحياً أيضاً. "قَالْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ هُوَ جَسَدٌ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ" (يوحنا 3: 6). هناك فرق كبير بين الابن الجسدي والابن الروحي. فجميع الناس على الأرض يولدون جسدياً كأبناء لأباء وأمّهات يتمتعون بطبيعة ماديّة أو بشريّة. أمّا الأشخاص الذين يؤمنون بالرب يسوع المسيح فيتميزون عن غيرهم من البشر في أنهم ولدوا كأبناء لله أيضاً. وهذا لا يعني أنهم أبناء الله بالجسد، بل هم أبناء الله الروحيين (يوحنا 3: 3-8). ورغم أنّ طبيعتهم البشرية تأتي من آبائهم وأمهاتهم البشريين، إلّا أنّ طبيعتهم الروحية مُستمدة من الله الروح القدس. وهذا يعني أنّ طبيعتهم الروحية لم تعد خاضعة للشعور بالذنب، والعار، وسلطان الخطيئة المُدمرة. فقد تحرروا لكي يتغيروا شيئاً فشيئاً على صورة الرب يسوع المسيح. لهذا، فإنّ طبيعتهم الروحية لم تُعد مُستعبدة للشيطان! فالمؤمن الحقيقي لم يُعد مُرغماً على عمل إرادة الشيطان (2 تيموثاوس 2: 26) وذلك لأنه أصبح ولداً لله، ولأنه أصبح يفعل ما هو صواب في نظر الله، ولأنه أصبح يُحب الله والآخرين (1 يوحنا 3: 10).

2- على نحوٍ مشابه، فإنّ يسوع المسيح يُدعى "ابن الله". لكنه ابن الله بالمعنى الروحي وليس بالمعنى الحرفي. فرغم أنّ يسوع المسيح حصل على طبيعته البشرية من العذراء مريم، إلّا أنه حصل على طبيعته الروحية والإلهية من الله الروح القدس (لوقا 1: 30-35).

لاحظ ما الذي تقوله بعض الآيات الأخرى عن أنّ يسوع المسيح هو روح الله وكلمة الله.

فنحن نقرأ في سفر المزمير: "قَالَ لِي الرَّبُّ (أي: قال الله للسيد المسيح): أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَادْتُكَ. اطْلُبْ مِنِّي فَأَعْطِيكَ الْأُمَمَ مِيرَاثاً، وَأَقَاصِي الْأَرْضِ مُلْكاً لَكَ." (المزمور 2: 7-8).

الدليل الثاني - الملحق 1

كما نقرأ في إنجيل متى: "فَلَمَّا تَعَمَّدَ يَسُوعُ، صَعِدَ مِنَ الْمَاءِ فِي الْحَالِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدْ انْفَتَحَتْ لَهُ وَرَأَى رُوحَ اللَّهِ هَابِطاً وَتَازِلاً عَلَيْهِ كَأَنَّهُ حَمَامَةٌ. 17 وَإِذَا صَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ يَقُولُ: هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ، الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ كُلَّ سُرُورٍ!" (متى 3: 16-17).

ونقرأ في رسالة رومية: "وَهُوَ (الله) يَخْتَصُّ بِابْنِهِ الَّذِي جَاءَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ مِنَ النَّاحِيَةِ الْبَشَرِيَّةِ؛ وَمِنْ نَاحِيَةِ رُوحِ الْقُدَّاسَةِ، تَبَيَّنَ بِقُوَّةٍ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ بِالْقِيَامَةِ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ. إِنَّهُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ رَبُّنَا" (رومية 1: 3-4).

4- الله الواحد هو إله مثلث الأقانيم.

*اقرأ المقاطع الكتابية المشار إليها داخل الأقواس أدناه.
اكتشف وناقش: ما هي الأقانيم المتميزة في الطبيعة الإلهية الواحدة؟
ملاحظات:*

أ) الآب والابن والروح القدس.

يؤمن المسيحيون بالله واحد له طبيعة إلهية واحدة. وقد أعلن الله عن ذاته بصفته الله الآب، والله الابن، والله الروح القدس.

1- كلمة "آب" تحمل معنى روحياً فقط. فالله الآب هو منشئ الخطة الإلهية للكون والتاريخ، وهو منشئ الخليقة والإعلان. كما أن الله الآب هو ربُّ عائلته في السماء وعلى الأرض (أفسس 3: 14-15). فجميع أبنائه الروحيين يتمتعون بعلاقة روحية شخصية وحميمة معه (متى 6: 9-13).

2- كلمة "ابن" تحمل معنى روحياً فقط فالابن يسوع المسيح هو الله الواحد الذي أخذ طبيعة بشرية - دون أن يتخلى عن طبيعته الإلهية - ودخل خليقته والتاريخ البشري من خلال العذراء مريم (فيلبي 2: 6-7؛ كولوسي 1: 15؛ 2: 9). فقد صار يسوع المسيح "الله معنا" (إشعياء 7: 14؛ متى 1: 23). كذلك فإن يسوع المسيح هو "كلمة" الله الذي ظهر في الخليقة والتاريخ البشري (يوحنا 1: 1، 14، 18).

3- الروح القدس هو الله الواحد الذي جاء بصفته الروح الإلهي يسكن في أجساد شعب الله (رومية 8: 9-10؛ 1 كورنثوس 6: 19-20) وفي مجتمعات شعب الله على الأرض (الكنايس) (أفسس 2: 19-22).

ب) الثالث.

1- كلمة "ثالث" ليست كلمة كتابية (ليست واردة في الكتاب المقدس صراحةً)، بل هي كلمة لاهوتية. فقد عبّر المؤمنون المسيحيون - عبر تاريخ الكنيسة - عن المفاهيم الواردة أعلاه بالقول إن الله الواحد أعلن عن نفسه في ثلاثة أقانيم. لكن كلمة "أقنوم" (باليونانية: "upostasis" "أبوستاسيس") لا تُعبّر عن فكرة الشخصية المنفردة، بل تُعبّر فقط عن فكرة الشخصية المتميزة التي توجد في وحدة لا تنفصل مع الطبيعة

الدليل الثاني - الملحق 1

الإلهية! لهذا فإنَّ كلمة "أفنوم" تُعبّر عن حقيقة أنّ الله الواحد أعلن عن نفسه في الخليقة وفي التاريخ البشري بصفته الله في السماء، وبصفته الابن على الأرض، وبصفته الروح القدس الساكن في شعبه على الأرض.

2- عندما يعتمد المؤمنون بالماء فإنهم يعتمدون "باسم الآب والابن والروح القدس" (متّى 28: 19). ومن الملاحظ هنا أنّ كلمة "باسم" تُرد بصيغة المفرد وليس الجمع! وبالتالي، فإنَّ اسم الله المُفرد يكشف لنا أنه إله واحد، كائن إلهي واحد (قارن تثنية 6: 4). أمّا الكلمات "الآب، والابن، والروح القدس" فتكشف أنّ هناك تمثُّل داخلي في إطار وحدة الطبيعة الإلهية. فالله الواحد أو الكائن الإلهي الواحد يُعلن عن نفسه بأنه الآب، والابن، والروح القدس. والآب، والابن، والروح القدس يتمتعون بذات الطبيعة الإلهية.

3- لذلك، فإن يسوع يُدعى "الله معنا" (متّى 1: 23)، و "ابن الله" (متّى 26: 63-64) وحتى "الله" (إشعيا 9: 6؛ يوحنا 1: 1؛ رومية 9: 5؛ 20: 28؛ تيطس 2: 13؛ عبرانيين 1: 8-9). ولذلك أيضاً يُدعى الروح القدس "روح الله"، و "روح المسيح"، و "المسيح فيكم" (رومية 8: 9-10) وحتى "الله" (أعمال 5: 3، 5).